علم النفس الاجتماعي يفسر نشوء التفاوت في التأثير الاجتماعي

تأليف

مدرس الدكتور محمد لوتي

مارس 30, 2026

اقتبس من هذا المقال

مدرس الدكتور محمد لوتي (2026). علم النفس الاجتماعي يفسر نشوء التفاوت في التأثير الاجتماعي. عرب سايكلوجي. تم الاسترجاع من https://arabpsychology.com/?p=120318

ARABPSYCHOLOGY.COM

تخيل أنك في مجتمع صغير، ربما قرية أو مجموعة من الصيادين وجامعي الثمار. عندما تواجه مشكلة جديدة ـ كيف تصنع أداة أفضل، أو أين تجد أفضل مصادر الغذاء ـ لمن ستلجأ؟ هل ستختار الشخص الأقوى جسديًا، أم الشخص الذي يشتهر بذكائه وخبرته؟ الإجابة على هذا السؤال، كما يتبين من دراسة حديثة، تكشف الكثير عن كيفية تشكل التسلسل الهرمي الاجتماعي لدى البشر، وكيف أن هذا التسلسل قد يكون أقدم بكثير مما كنا نعتقد.

منهجية البحث

قام الباحثون، بقيادة مورغان تي. جيه. إتش، باستكشاف دور "الهيبة" (prestige) ـ أي الميل إلى منح المكانة والنفوذ للأفراد المهرة أو المحترمين ـ في تشكيل أنماط غير متكافئة من النفوذ الاجتماعي. لم يكتفِ الفريق بالاعتماد على طريقة واحدة، بل جمعوا بين ثلاثة مناهج بحثية متميزة. أولاً، استخدموا النماذج التطورية الثقافية (cultural evolutionary modelling) لمحاكاة كيفية تطور التسلسل الهرمي الاجتماعي في المجتمعات البشرية على مر الزمن. هذه النماذج تسمح للعلماء باختبار الفرضيات حول العمليات التطورية دون الحاجة إلى الاعتماد على البيانات التاريخية المحدودة. ثانياً، أجروا تجارب بشرية لقياس "حساسية الهيبة" (prestige sensitivity) لدى المشاركين. بمعنى آخر، حاولوا تحديد مدى استعداد الناس لاتباع آراء واقتراحات الآخرين بناءً على سمعتهم وخبرتهم. وأخيراً، استخدموا المحاكاة التطورية (evolutionary simulations) لتقييم ما إذا كانت "حساسية الهيبة" التي تم قياسها في التجارب البشرية تتوافق مع التوقعات النظرية المستمدة من النماذج التطورية.

النتائج

أظهرت نتائج البحث أن سيكولوجية الهيبة البشرية تؤدي إلى ظهور تسلسلات هرمية نفوذ غير متكافئة للغاية. بمعنى آخر، ليس الجميع متساوين في التأثير على الآخرين. فالأفراد الذين يتمتعون بسمعة طيبة وخبرة يميلون إلى ممارسة نفوذ أكبر بكثير من غيرهم. والأكثر إثارة للاهتمام هو أن "حساسية الهيبة" التي تم قياسها في التجارب البشرية تطابقت بشكل وثيق مع التوقعات المستمدة من المحاكاة التطورية. هذا يشير إلى أن الميل إلى اتباع الأفراد ذوي الهيبة ليس مجرد سلوك مكتسب، بل هو تكيف نفسي متطور ـ أي أنه تطور عبر الزمن من خلال الانتقاء الطبيعي.

ما يميز التسلسل الهرمي الناتج عن الهيبة عن التسلسلات الهرمية الموجودة في عالم الحيوان (مثل تلك التي نراها بين الذكور المهيمنين في مجموعات القرود) هو أنه غير قسري. فبدلاً من استخدام القوة أو التهديد لإخضاع الآخرين، يعتمد الأفراد ذوو الهيبة على تقديم معلومات عالية الجودة وحلول مبتكرة للمشاكل. الناس يختارون طواعية اتباعهم لأنهم يرون فيهم مصدرًا قيمًا للمعرفة والخبرة. هذا يختلف تمامًا عن التسلسلات الهرمية القائمة على القوة الغاشمة، حيث يتم فرض الطاعة من خلال التخويف والعنف.

دلالات البحث

تشير هذه الدراسة إلى أن التسلسلات الهرمية الاجتماعية قد تكون لها تاريخ تطوري أعمق بكثير في سلالتنا مما كنا نعتقد. فبدلاً من أن تكون مجرد نتيجة ثانوية لظهور الزراعة والاستقرار، قد تكون الهيبة قد لعبت دورًا حاسمًا في تنظيم المجتمعات البشرية حتى في عصور الصيد وجمع الثمار.

الأهم من ذلك، أن البحث يوضح أن التسلسلات الهرمية القائمة على الهيبة يمكن أن تكون مفيدة للجميع. فمن خلال منح النفوذ للأفراد المهرة والمحترمين، يمكن للمجتمعات أن تتخذ قرارات أفضل وتتكيف بشكل أكثر فعالية مع التحديات البيئية. هذا يختلف تمامًا عن التسلسلات الهرمية القائمة على القوة، والتي غالبًا ما تؤدي إلى الاستغلال والظلم.

ARABPSYCHOLOGY.COM

هذه النتائج تلقي الضوء على طبيعة التعاون البشري المعقدة، وكيف أن قدرتنا على تقييم واحترام خبرة الآخرين قد تكون مفتاحًا لنجاحنا كنوع. كما أنها تثير تساؤلات مهمة حول كيفية تطبيق هذه المعرفة في مجالات مثل القيادة والإدارة، وكيف يمكننا بناء مجتمعات أكثر عدلاً وفعالية من خلال تعزيز الهيبة القائمة على الكفاءة والجدارة.

Reference

Morgan T.J.H. (2026). *Human prestige psychology can promote adaptive inequality in social influence*. Nature Communications, 17(1), 947-947.

DOI: 10.1038/s41467-026-68410-7

ARABPSYCHOLOGY.COM